8) قصص الأنبياء. إسماعيل بن كثير،تحقيق:السيد الجميلي،(الطبعة الثانية،بيروت، دار الجبل 1410هـ)
9) كونفوشيوس النبي الصيني،حسن عسفان،(مصر،مكتبة نهضة مصر)
10) كتاب الحوار،كونفوشيوس ،تعريب: محمد مكين(القاهرة،المطبعة السلفية)ص10
11) البيان في مقارنة الأديان ،أسعد السحمراني، الطبعة الأولى (لبنان،دار النفائس،1422هـ)
12) الحكماء الثلاثة ،أحمد الشناوي(مصر،دار المعارف)
13) الديانات والعقائد في مختلف العصور،أحمد عطار.
14) الديانات الوضعية المنقرضة،محمد العريبي(بيروت،دار الفكر اللبناني،1995م)
15) الزرادشتية تاريخاً وعقيدة وشريعة دراسة مقارنة ، خالد السيد (دمشق، دار خطوات ،2005م)
16) الكامل في التاريخ ،ابن الأثير،(مكتبة الوراق الإلكترونية)
17) الكونفوشيوسية دراسة تحليلية نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية.، ناصر الشهراني،(المملكة العربية السعودية،جامعة أم القرى،1427هـ
18) الكونفوشيوسية ، بحث بإشراف الدكتور: محمد السحيم، 1427هـ
19) الملل والنحل،أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني،تحقيق: محمد كيلاني،(بيروت،دار المعرفة)
20) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الطبعة الخامسة (الرياض،الندوة العالمية للشباب الإسلامي،1424هـ)
21) موسوعة الأديان والمعتقدات الدينية ،سعدون الساموك،الطبعة الأولى(دار المناهج،1422هـ)
22) موسوعة الأديان في العالم،الديانات القديمة، (بيروت دار كريس ، 2001)

دور أئمة تيهرت الرستمية في تشجيع و تطوير الحركة الفكرية خاصة العلوم الدينية

الأستاذة فطيمة مطهري
جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان

مدخل:

يقول ابن خلدون: "أعلم أن العلوم التي يخوض فيه البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره،

وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية العقلية يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل"[1].

لعل الجو العلمي الذي كان سائدا في الأسرة الرستمية الحاكمة، أثر في التجاوب الفعلي من طرف أفراد المجتمع التيهرتي خاصة، بروز فئة من العلماء الأجلاء في مختلف المجالات: العلوم النقلية والعقلية التي حملت مشعل العلم في الأوساط الرستمية خاصة والبلاد الإسلامية عامة.

ومن بين هذه العلوم العلوم النقلية وفي مقدمتها العلوم الدينية من علم التفسير، وعلم الحديث وعلم القراءة وعلم الفقه، وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها"[2].

إن الأوضاع السياسية والاقتصادية وتواجد عدة مذاهب في المغرب الإسلامي ولا سيما الدولة الرستمية، وتحديدا حاضرتهم تيهرت وجهود الأئمة الرستميين كانت عوامل بالغة الأثر في جعل العلوم النقلية من حديث و تفسير وفقه تحظى بالنصيب الأوفر من التطور والعناية والاهتمام مقابل العلوم الأخرى، فقد كانت هذه المدينة عامرة بحفاظ الحديث وثقات المحدثين[3].

وتميزت تيهرت الرستمية بغزارة الإنتاج في العلوم الشرعية و السبب الرئيس في ذلك هو الاهتمام الكبير لأئمتها فأغلبهم كان قائما بالعلم والتفقه في الدين ساهرا على رعايته ونشره بين رعيته حريصا على طلبه من مصادره غير مضيقين على من خالفهم في الفكر والمذهب، وينطبق هذا الوصف على الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي جمع بين الفقه والشعر فكانت له حلقات لتدريس الفقه والأصول وعلم

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007، ص– ص 442– 443.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة: المصدر نفسه، ص443.

[3] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1995، ج2، ص8.

الكلام واللغة وتتلمذ على يديه جمع من العلماء منهم ابناه أبو اليقظان وأبو بكر[1]، كما كثر الإنتاج الفقهي أيضا بسبب تعدد المذاهب ومنها المذهب المالكي الذي انتقل إلى تيهرت عن طريق التجارة والحج[2].

إن وجود هذه المذاهب في تيهرت رفقة كفالة الحرية في الدفاع عنها من طرف الأئمة أنفسهم أدى إلى انتشار أهم مظهر من مظاهر التطور الفكري والتنوع الفكري في تيهرت، ألا وهو المناظرات العلمية، فقد كان علم المناظرة هو أول ما يدرسه الشيخ الإباضي فيكون مضطرا إلى الإلمام باللغة العربية والقرآن والتاريخ و علم الفقه والفلسفة[3]، ولقد وصف لنا أبو زكرياء بعض المناظرات التي عرفتها تيهرت فقال:"ثم إن الإمام رضي الله عنه أمر بالصفوف فصفت والواصلية قد صفت صفوفها فقد خرج مهدي للمناظرة بين الصفين ومن معه من أصحابه وجماعة المسلمين فخرج معهم الإمام بوجود أصحابه فخرج الفتى المناظر من المعتزلة ووجوه المعتزلة معه فقال مهدي[4] لمحمد بن يانس أخرج عليه فناظره فقال له بن يانس فأخرج إليه أنت و لست بأعلم مني، قال خرج المهدي وتقدم إلى الفتى المعتزل وقد كان قبل ذلك أسلمته نفسه وظنت به الظنون فأرسل المهدي في سر من أصحابه يقول له أني إذا ناظرتك وغلبتني أريد أن تستر علي وإن غلبتك سترت عليك و ليس فينا أحد يدري من الدائرة على صاحبه فاتفق المهدي مع أصحابه إذا غلبته ينزع الشاشية عن رأسه ويضعها تحت ركبته[5].

---

[1] – جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، مجلد1- 2- 3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999، ج1، ص120.

[2] – جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص98.

[3] – محمد عليلي: الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين2- 3هـ/8- 9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص80.

[4] – قال عنه الشماخي أنه كان شيخا فاضلا فقيها، و كان ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم"، ينظر الشماخي: كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ص143، أبو زكرياء: سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص – ص 69- 78.

[5] – أبو زكرياء: نفسه، ص70.

وكانت أهم وأشهر المناظرات التي احتضنتها تيهرت تلك التي دارت بين الإباضية والمعتزلة، إذ تذكر المصادر والمراجع أن علماء الفريقين كانوا يلتقون بوادي مينة[1]، في حلقات مناظرة تدور حول مواضيع فقهية بالأساس إلى جانب العلوم الأخرى كعلم الكلام واللغة، كما لا شك أن هذه المناظرات كان لها محاسن وآثار إيجابية من حيث أنها أسهمت في ظهور مؤلفات أظهرت جهود العلماء والفقهاء في حركة التأليف اعتبرت ذخيرة علمية وأدبية للمؤسسات العلمية في هذا العصر.

لقد تضافرت عدة عوامل لتطوير الحركة الفكرية في مقدمتها جهود الأئمة الرستميين، فيما يظهر دورهم ومساهمتهم في النهضة الثقافية؟ وما هي مظاهر ازدهار العلوم الدينية؟

1- تشجيع الأئمة الرستميين للحركة الفكرية: مما لا شك فيه أن الطابع الذي كان غالبا على الأئمة الرستميين زهدهم في شؤون الحياة الدنيا، وعدولهم عن شهواتها و ملذاتها، حيث كان همهم الوحيد هو الظفر بمرضاة الله تعالى، لذلك كانت عنايتهم الكبيرة بالعلوم خاصة الدينية منها[2].

ولذا فقد بذل الأئمة الرستميون جهودهم في سبيل تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في ربوع دولتهم من تشييد للمساجد والدور العلمية وجلب الكتب من المشرق فكان لاهتمامهم أثر في تفعيل المجال العلمي[3]، كما اهتمت أيضا الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار، ولعل من أشهر مكتباتها مكتبة المعصومة التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب، قدرها الباحثون بثلاثة آلاف مجلد[4]،

---

[1] – ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص94.

[2] – رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص111.

[3] – معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

[4] – المعصومة: ربما يكون قد أطلق عليها هذا الإسم لقربها من القصبة التي كانت مشرفة على السوق المسماة المعصومة، البكري، المصدر السابق، ص66، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8، مهنا السعدي: الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com ، نظر يوم، 11- 02- 2006، 10:45.

فمن بين ما كانت تحويه، كتب الحرف والفنون الدينية و الدنيوية[1]، و لعل تسامح الأئمة هو الذي زاد وأفاد توسع النطاق المعرفي، وأصبحت بهذا تيهرت توازي القيروان حاضرة العلم[2]، حيث أنهم كرسوا حياتهم للعلوم وشرائها و نشرها في كل طبقات المجتمع، و ذلك بشجعيهم على طلب العلم، حتى وصل بهم الأمر إلى لتدريس بأنفسهم في جامع تيهرت وبجبل نفوسة[3]، حيث أنه كان من بين الشروط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار الإمام، و مبايعته أن يكون عالما ورعا[4]، وهذا ما لمسناه من أغلب الأئمة الرستميين لا سيما الأولين منهم. فالإمام عبد الرحمن بن رستم كان قد أخذ العلم من المشرق، واعتبر من حملة العلم كم ذكرنا[5]، وكان له من العلم الغزير، حيث قال عنه أحد معاصريه:"لا أعلم من يخرج مسائل الدماء، أهل القبلة في زماننا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب كما كان سمحا غير متشدد في الدين"[6]، بارعا في علوم الدين واللغة والفلك، وكان محبا للعلم فأقبل على التأليف على قلة ما كان يجده من الوقت، فصنف كتابا في التفسير[7]، هذا الذي تنافس عليه

---

[1] – موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي، مكتبة المعصومة، هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان؟ مجلة الأصالة، العدد 44، وارجلان، 1977م.

[2] – صالح بلجية: المرجع السابق، ص57، و قد تحدث عنها ابن حوقل فقال:"فكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجرا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا، و كان فيها ديوان جمع المغرب و إليها تجنى الأموال و بها دار سلطانها و بظاهرها المكان المدعو رقادة كانت منازل لآل الأغلب"، ابن حوقل: المصدر السابق، ص96، خاصة الدور الذي لعبه مسجدها الجامع حيث قيل:"لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعا له مدينة"، أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمه، دار الفكر، ط2، دمشق، 1982، ص358.

[3] – السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص574.

[4] – معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

[5] – أبو زكرياء: المصدر السابق، ص26.

[6] – ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص265.

[7] – محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، ص- ص 34- 36، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص574، و رغم أن البرادي و موتلنسكي يذكران عبد الرحمن ألف شرحا للقرآن، و قد اختفى هذا الشرح و هو أقدم شرح للقرآن ذكرته الآثار الأدبية الإباضية، إلا أن ابن الصغير يذكر أن عبد الرحمن لم يكن له كتاب معروف من تأليفه"، تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، ترجمة ريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت2000، ص- ص 38- 39.

الإباضية الوهبية والنكارية على اقتنائه، ذلك لأن الكتاب هو لأول إمام لم يقع عليه الإختلاف، وتولته الطائفتان معا، أما كتابه الثاني فقد جمع في خطبه التي كان يلقيها وما أسهم به ذلك في نشر الدين و الفقه و الثقافة[1]، ليليه فيمات بعد ابنه الإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171- 208هـ)، والذي سار على خطى أبيه، فكان عالما يلقي دروسا في مساجد جبل نفوسة[2].

ومن المؤلفات التي نسبها إليه ابن الصغير هي نوازل[3] نفوسة الجبل، ويضيف ابن الصغير أن هذا الكتاب كان في أيدي الإباضية، مشهورا عندهم، معلوما يتداولونه قرنا بعد قرن، وقد كان هذا الإمام يبعث بالأموال إلى العراق لشراء الكتب، ولا يمل قراءتها شتاء أو صيفا[4].

أما الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب (208- 258هـ) فيعتبر عهده من أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة وفكرا، ورخاء اقتصاديا، فقد كان قبل توليه الإمامة يقعد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه والكلام واللغة[5]، وله أجوبة ونوازل تخص المسائل الفقهية، حيث نقل عنه العديد من المؤرخين أمثال أبي زكرياء في الحديث والشعر وغيرهم[6]، فأصبح من العلماء المشهورين، وانفرد بأقوال في علم الكلام واعتبر من أجلها

---

[1] – مهنا السعدي: المقال السابق، في الموقع الإلكتروني السابق.

[2] – بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

[3] – هي التي تنزل على العباد مما ليس لهم عهد من كتاب الله، و لا سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيسرع لهم الجهاد بين مخطئ و مصيب، و الكل محمول عنهم، أو مسائل نفوسة، يجيب فيه عن 300 سؤال، ابن الصغير: المصدر السابق، ص45، هامش ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص267، ذكر المخطوطة رقم تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص42.

[4] – الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص- ص 272- 273، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص نفسها.

[5] – الوسياني نقلا عن تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص143، و سنتطرق للعلوم في الحياة الفكرية.

[6] – بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص242، و لقد نحا نحو أبيه الإمام عبد الوهاب و ألف كتابا سماه "جوابات الإمام أفلح"، محمد عليلي: المرجع السابق، ص84.

إماما، كما بلغ مبلغا في حساب الغبار، والنجامة، كما حث على دراسة الكتب حيث قال:"عليكم بدراسة كتب المسلمين، لا سيما كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل"[1]، والإمام محمد بن أفلح بن عبد الوهاب الذي قال عنه الدرجيني:"فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه وسيرته إلا بأيام جده عبد الرحمن وسيرته، وذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون وطائفة يقرأون الكتاب، وطائفة يتذاكرون في فنون العلم...وله تآليف في الرد على أهل الخلاف لا يشق فيها غباره"[2]، أما عهد الإمام أبي بكر الرستمي، فيبدو أنه كان عهد شعر وأدب، حيث ذكر عنه ابن الصغير أنه كان يحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين، وكان يحب اللذات ويميل إلى الشهوات[3]، كما كان مشهورا بعلمه، فقد ألف عدة كتب ليجيب المخالفين[4] ويدافع عن دينه ويرد على الفرق في مقالاته[5].

فكان يحثهم على الاهتمام بالأدب والشعر والتاريخ، أضف إلى ذلك جعلهم اللغة العربية لغة رسمية[6] فاعتبروها لسان الدولة الرستمية، وما دل على ذلك تلك الرسائل التي كان يبعثها الأئمة الرستميون إلى الأئمة البربريين في الحث على الطاعة و التمسك بالدين، وعقود ولايتهم لعمال طرابلس، وبالتالي كانت اللغة الرسمية، ولسان علومهم و آدابهم أيضا[7]، وأسلوبا لمناظرتهم[8]، ولذلك لشيوع المذاهب في تلقيح الأفكار وخدمة أدباء

---

[1] – أبو زكرياء: المصدر السابق، ص81.

[2] – الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 83- 84.

[3] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص82، يقول جودت عبد الكريم أنه كان شغوفا باللغة و الأدب، جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص107.

[4] – رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص112.

[5] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

[6] – محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص371.

[7] – مبارك الميلي: المرجع السابق، ص77.

[8] – تكون المناظرات بين فقهاء الفرق المختلفة، و تكون متسمة باللياقة و الملاطفة، تخاض فيها مسائل مذهبية و دينية، و كان يحكمهم شيخ إباضي متظلع في اللغة العربية و القرآن و الحديث و علم العقائد و التاريخ، و غالبا ما يتحول إلى صراعات، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113.

الإباضية حيث كانت هذه الأخيرة تتمتع بحرية فكرية، وكانت لكل فرقة مسجدها وعلماؤها وحلقات دروسها[1].

2- العلوم الدينية ومظاهر ازدهارها:

* التفسير:

هو من أعظم العلوم الدينية مقدارا، و أرفعها شأنا و منارا لكونه رئيس العلوم الدينية و رأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها[2]، و التفسير هو شرح كلام الله تعالى ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه لفهم اللغة العربية[3].

لقد كان اهتمام العلماء المسلمين به كثيرا وخاصة بالقرآن الكريم، كونه المصدر الأساسي ولأول للتشريع الإسلامي، ونظرا لما ورد من الترغيب فيه من النصوص الشرعية كقوله تعالى:

(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[4]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم:**"كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله..."**، و من هنا فقد تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تيسير و تسهيل فهمه على العرب، لأن نزوله بلغة العرب لا يعني أن كل العرب يفقهون أحكامه ومعانيه ولأن فهم أي كتاب لا يتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ودرجة الكتاب في رقيه[5]، وبما أن المجتمع الرستمي كان معظم تركيبته البشرية من الجنس البربري، فقد كان الإحتياج الأكبر إلى فهم ما جاء في

---

[1] - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص- ص 124- 159.

[2] - أحمد محمد الصاوي المالكي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد مصر، 1934، ص2، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 484- 486.

[3] - لخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (633- 962هـ/1236- 1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص150.

[4] - سورة الحشر: الآية 21.

[5] - أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط11، 1979، ص196.

القرآن الكريم[1]، وبحاجة ماسة إلى تفسير بعض الآيات التي شكلت عليهم، وقد تفرغ بعضهم إلى هذا، واهتموا بالتفسير للألفاظ والكلمات وشرح معانيها ومعاني الآيات، وعرفوا بالمفسرين لكتاب الله، وذكر الدرجيني أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن طلب من أهل نفوسة أن يبعثوا له وفدا من علمائهم، يضم من كل صنف من العلوم مائة عالم بما في ذلك التفسير ليتناظروا مع المعتزلة بتيهرت[2].

ولعل أهل نفوسة أرسلوا له مفسرا واحدا، يمكنه أن يحل محل المائة مفسر المطلوبة، وهو محمد بن يانس[3] الدركلي النفوسي المعروف ب"ابن أبي المنيب"عاش ما بين (200- 250هـ/815- 864م)[4]، وهو أشهر مفسري نفوسة وأعلمهم ومن أشهر علماء التفسير أيضا:

-**لواب من سلام التوزري المزاتي**: من علماء قبيلة مزاتة، كان شيخا و إماما عالما بالأصول والفروع[5]، وقد قام بتفسير جزء من سورة الشورى[6] في كتابه "شرائع الدين" باعتماده على الحسن البصري و ابن العباس[7]، كما تطرق إلى حكم حجاب المرأة، و فسر الآيات التي تحتويها لقوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ**)[8] وليس في تفسيره أي غموض أو ابهام.

---

[1] – معروف بلحاج: الإنتاج الفكري في عهد الدولة الرستمية، مجلة الفضاء المغاربي، العدد2، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، و أعلامها في المغرب العربي، كلية أبو بكر بلقايد، تلمسان، أفريل 2004، ص242، مختار حساني: المرجع السابق، ص307.

[2] – الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق و طبع ابراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974، ج1، ص 57.

[3] – أبو زكرياء: المصدر السابق، ص67.

[4] – جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص828، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية (160-296هـ/777- 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1993، ص299.

[5] – جمعية التراث: المرجع نفسه، ج4، ص733.

[6] – قال الله تعالى:(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الذي أوحينا إليك)، الآية 13.

[7] – معروف بلحاج: المرجع السابق، ص143، ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص299.

[8] – سورة الأحزاب: الآية 59.

- **هود بن محكم الهواري**: كان أبوه محكم الهواري قاضي تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208- 258هـ/823- 871م)[1]، وهو أشهر مفسر عرفته الدولة الرستمية و تداولته المصادر والمراجع الإباضية وغير الإباضية.

تلقى هود بن محكم تعليمه في تيهرت وكان يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوالوقد اتبع في ذلك شروطا ثمانية هي: معرفة المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ التقديم والتأخير، المقطوع و الموصول والخاص والعام والإضمار واللغة العربية[2]، ألف كتابا في التفسير فيه أربعة أجزاء[3]، ويعتبر تفسيره مرجعا أساسيا للإباضية بالإضافة إلى الأحاديث النبوية[4].

*** الفقه:**

الفقه لغة هو الفهم مصداقا لقوله تعالى:**(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)**[5]، أي لا تفهمون، وقيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة، واصطلاحا هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الإجتهاد[6]، و عرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله:**"هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين"**[7]

---

[1] - محمد مختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، د.ت، ص40، موسى لقبال: دور كتامة، المرجع السابق، ص77.

[2] - محمد مختار اسكندر: نفسه، ص41.

[3] - هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريفي بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، و يذكر الشيخ سليمان داود بن يوسف أنه رغم ضياع كتب الإباضية فإنني وجدت نسخة كاملة من هذا الكتاب في خزانة جدي الشيخ أحمد ابن أيوب التجنيني، كتبه بخطه سنة 1050هـ، و هو بصدد التقديم للطبع، و قد وجدت بعض الأجزاء من الكتاب متفرقة في وادي مزاب وجربة، ينظر، سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص60.

[4] - صالح باجية: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة و أصول الدين، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس 1976، ص54.

[5] - سورة الإسراء: الآية 44.

[6] - أحمد بن زكريا التلمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005، ص- ص 281- 282.

[7] - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

يعتبر هذا العلم في نظر الإسلام جزء من الدين ومن أمور الدنيا، حيث يتناول الفقه حياة الإنسان كلها من الصغر إلى آخر مراسم الدفن وهو إذن قواعد عملية نتيجة التطور واختلاف البيئات، ولعل الخطوات الأولى للفقه الإسلامي وضعت وقت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وذلك قبل الإنقسامات السياسية والخلافات العقائدية[1]، ولقد كان التنافس على أشده بين المذاهب الإسلامية داخل العاصمة، وعلى شكل مناظرات بين الإباضية والمالكية والحنفية والمعتزلة والصفرية هذا الجو التنافسي أثر في توجيه اهتمام العديد من العلماء إلى هذا العلم.

إن التنافس بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أفضى إلى غزارة التأليف فكثرت بذلك المدونات الفقهية، ولا أدل على ذلك ما قاله ابن الصغير: **"**...ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيين والمدينيين (أي المالكية) لم يطلب بعضهم بعضا، ولا يسعى بعضهم ببعض..إلا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها، و تناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيها صاحبتها...**"**[2].

والجدير بالذكر أن الحلقات العلمية والمناظرات التي كانت تقام في تيهرت بإشراف الأئمة الرستميين عليها في بعض الأحيان كان لها دور فعال في إثراء الفقه كانت حلقات الجدل والمناظرة تعقد بين فقهاء المالكية والإباضية، يورد بحاز ابراهيم جانبا من مناظرة فقهية بين ابن الصغير المالكي وأبي الربيع الإباضي حول تفسير الآية **(وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)**[3]، فابن الصغير فسر **"لم"** بأنها لا تعني النفي القاطع إنما تنطبق على الفتيات الصغيرات اللائي لن يبلغن سن الحيض، بينما أبو الربيع فسرها على أنها تعني النساء المسنات[4].

---

[1] – صالح باجية: المرجع السابق، ص53.

[2] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص117.

[3] – سورة الطلاق: الآية5.

[4] – بحاز ابراهيم: المرجع السابق، ص300، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 117- 118- 119.

كذلك الأمر بين فقهاء الحنفية والإباضية، حيث يتفق المذهب الإباضي والمذهب الحنفي على الكتاب والسنة والقياس والإجماع والإختلاف هو أن الإباضيين يأخذون بفتاوى الصحابة والتابعين، أما الأحناف فلا يأخذون إلا بفتاوى الصحابة[1].

كما أن الفقه الإباضي[2] تميز بالتشدد وهو ما كان عليه شيوخ المذهب الأوائل، والدافع إلى ذلك هو الرغبة في زيادة الأجر والحيطة من الوقوع في الحرامإذ يذكر أن أبا مرداس رأى على غير قصد امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك[3]، ومن بين الأحكام الفقهية التي يتميز بها المذهب الإباضي عن سائر المذاهب الأخرى، سواء السنية أو الشيعية، فمثلا في نطاق العبادات وما يتصل بها: تعتبر الصلاة بدون البسملة قبل الفاتحة باطلة، و كذلك الأذان بدون أربع تكبيرات إحرام وما تتميز به صلاتهم أن كل ركعة سرية يكتفي فيها بالفاتحة، والأفضل عند الصلاة إفراد لباس خاص بها تبريا من نجاسة قد تعلق بالثوب، أما في مسألة الصيام، فمن أصبح جنبا أصبح مفطرا (إذا كان عمدا كان عليه القضاء والكفارة) وفي نطاق المحرمات: من زنى بامرأة فلا يجوز له الزواج بها، وكذلك التدخين، ولعب الشطرنج والغناء والموسيقى، وحلق اللحية، والصيد والذبيحة على يد اليهود وبناء القبور على الموتى[4].

إن الاجتهاد الفقهي في المغرب خاصة بالنسبة للمذهب الإباضي بدأت معالمه تظهر بشكل جلي ونهائي، مع ظهور عدد كبير من الشيوخ و الفقهاء، الذين كانوا قد خدموا الفقه في المغرب الأوسط وساهموا في تنشيط الحياة الفقهية في الدولة الرستمية[5] سواء كانوا إباضيين أو غير إباضيين، نذكر منهم:

---

[1] – عبد الكريم جودت: العلاقات، المرجع السابق، ص96، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص269.

[2] – للإباضية آراء فقهية جيدة اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، ج1، دار الفكر العربي، ص85.

[3] – صالح باجية: المرجع السابق، ص66.

[4] – عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، مراجعة عبد العزيز بو شعيرات، ج1، دار المعرفة، الجزائر ، ص99.

[5] – رابح بونار: المغرب العربي، تاريخه و حضارته، ط3، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د.ت ، ص85.

- **الفقهاء الإباضيون:**

كان الأئمة الرستميون أنفسهم علماء وفقهاء ومنهم الإمام عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الفقه الإباضي سماه نوازل نفوسة[1]، جاءت في حوالي ثلاثة مائة سؤال يجيب فيها عن أسئلة النفوسيين[2]، كما ألف الإمام أفلح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات التي بحث فيها عن أسئلة فقهية، وما زال هذا الكتاب عبارة عن مخطوط يشمل ثمانين ورقة و يحتاج إلى التحقيق[3].

ومن بين العلماء والفقهاء من غير البيت الرستمي و الذين أسهموا في ازدهار الحياة الفكرية نذكر منهم:

-**أبو عبيدة الأعرج:** عاش في القرن 3هـ/9م، و عاصر الإمام أبا اليقظان، كان عالما بالفقه[4] وعلم الكلام والبلاغة والنحو، قال عنه ابن الصغير:"كلهم مقرون له بالفضل، معترفون له بالعلم، مسلمون له في الورع إذ اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه"[5]، ومما ذكر عن خصاله قلة تردده على الأمراء وحسن أدبه[6] وابن الصغير كان أحد تلامذته، كان مشهودا له بالورع حتى أن إباضية سجلماسة يبعثون إليه زكاتهم ليصرفها

---

[1] – حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ج1، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص332، ابن الصغير: المصدر السابق، ص36، و يذكر محمد علي دبوز بأن هذا الكتاب لا زال موجودا في مدن ميزاب و جبل نفوسة و جربة، محمد علي دبوز: المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص– ص 272– 273.

[2] – ابن الصغير: نفسه، ص45.

[3] – بلحاج معروف: المرجع السابق، ص244.

[4] – وداد القاضي: ابن الصغير، مجلة الأصالة، الملتقى11 للفكر الإسلامي بوارجلان، العدد45، قسنطينة، 1977، م1، ص233.

[5] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص84.

[6] – و قال عنه ابن الصغير:"و كان قليل الدخول على أبي اليقظان، و لم يكن يجمعه و إياه سوى المسجد الجامع"، ابن الصغير، المصدر نفسه، ص83.

حيث يشاء[1]، و لقد احتضنت تاهرت فقهاء آخرين تمتعوا بنفس المكان الفقهية، و نذكر منهم:

-**عبد العزيز بن الأوز:** عاش في تيهرت في عهد الإمام أفلح والإمام أبي اليقظان وكان فقيها بارزا رغم أن بالبعض أخذ عليه فكره السطحي، ويقول عنه ابن الصغير أنه كان صاحب فقه ورحلة نحو المشرق[2].

-**عبد الله بن الخير:** وتتلمذ عل يد أبان بن وسيم، ولغزارة فقهه برز في الإفتاء[3] اشتهر بعلمه وقيل عنه من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل الخير[4]، و نبغ أيضا في الفقه عيسى بن فرناس النفوسي وأبو ربيع سليمان وعثمان بن أحمد بن يحتاج وأبو ميمون الجيلاطي[5].

كما لا ننسى جهود حملة العلم الفقهية، أمثال اسماعيل بن درار الغدامسي الذي أدى دورا هاما في التعليم، و نشر الفقه الإباضي، وأيضا داورد القبلي النفزاوي الذي أخذ عنه الإمام عبد الوهاب العلم[6]، ولم تكن تيهرت وحدها المدينة الرستمية التي كانت تحتضن الفقهاء، فقد ظهر أيضا في جبل نفوسة عدد من الفقهاء، ورأينا أن نذكر ولو البعض منهم لأن الأئمة الرستميين استعانوا بهم في المناظرات وفي القضاء ومن أشهر هؤلاء العلماء و الفقهاء:

---

[1] - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص596.

[2] - قال عنه ابن الصغير:"و كان له فقه بارع و له رحلة نحو الشرق، ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل، ينزهون مجالسهم عن حضوره، ويستغنون عنه في معضلات مسائلهم"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص86.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 318- 319.

[4] - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص179.

[5] - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 81- 110.

[6] - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص245، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 109- 2856- 499- 505- 515.

-**عمروس بن فتح المساكني النفوسي:** عاش في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، تولى القضاء بجبل نفوسة، قام باستنساخ مدونة أبي غانم[1] التي لها أهمية في الفقه الإباضي حيث يعتمد عليها بعد القرآن والسنة، ومسند الربيع مثل مدونة أبي سحنون من أهمية عند المالكية[2]، وكان من الفقهاء الذين قتلوا في موقعة مانوا سنة 283هـ/896م، حيث أخذ أسرا إلى الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني ثم قتل بطريقة بشعة[3].

-**عيسى بن فرناس ومحمود بن بكر:** استعان بهما الإمام أبو اليقظان في أمور الدين والسياسة[4]، حيث يذكر ابن الصغير:"وكان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع...كان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس، وكان عندهم من الورع بمكان...وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجود الناس، وكان محمود بن بكر يدافع عن الإباضية ويرد عن الفرق الأخرى بمقالاته ويؤلف الكتب في الرد على مخالفيه[5].

-**محكم الهواري:** عينه الإمام أفلح بن عبد الوهاب قاضيا على تيهرت، قيل أنه كان شديدا في الحق، فلم يفرق بين أمير ومأمور وبين حاكم ورعية، لهذا ارتضاه الناس قاضيا يحكم بينهم بالعدل[6]، و كان حيا فيما بين 208- 258هـ/823- 871م[7].

---

[1] – و يذكرني هذا السياق أن أبا غانم بشر بن غانم الخرساني خرج من المشرق متوجها نحو المغرب قاصدا الإمام عبد الوهاب و معه مدونته، و أثناء مروره بجبل نفوسة استودعها عند عمروس بن فتح الذي عكف هو و أخته على استناخها، ينظر، حبيب الجنحاني: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990، ص105.

[2] – عمار عمورة: المرجع السابق، ص99.

[3] – الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص89.

[4] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

[5] – يقول ابراهيم بحاز:"لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر عن مخالفيه الإباضية و لعلها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستميين"، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 310- 311، ابن الصغير: نفسه، ص نفسها.

[6] – ابن الصغير: نفسه، ص- ص 59- 60.

[7] – جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص- ص 745- 746.

-عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ: محمد بن أفلح فقيه من تيهرت عاصر الإمامين أبي اليقظان وأبي حاتم يوسف الذي عينه قاضيا، و قد كان متطلعا في الفقه[1]، و مجموعة أخرى من العلماء والفقهاء أمثال ابن أبي عياض اللواتي الذي عاش في القرن 3هـ بين عهدي أبي حاتم يوسف و يعقوب بن أفلح[2]، وأبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان يستغل بالتدريس في الفقه واللغة بجبل نفوسة[3] وماطوس بن هارون المتوفي 283هـ/896م، له كتاب يسمى "كتاب ماطوس"[4]، وأبو حسان عامر بن عاصم السدراتي وهو من ذرية عاصم السدراتي، كان يعقد مجلسين مجلس للقضاء وآخر للنساء، يعلمهن الأحكام ويفقهن في دينهن[5]، ومن فقهاء وخطباء تيهرت أيضا: أحمد التيه الذي برز في فن المناظرة، وعثمان بن القفار وأحمد بن منصور، وقد عاصروا الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان[6]، وغيرهم كثير.

وما نستنتجه من خلال عرض لهؤلاء العلماء والفقهاء مكانتهم الكبيرة عند الأئمة الرستميين، الشيء الذي دفعهم إلى تعيين هؤلاء الفقهاء في منصب القضاء باعتباره جهازا إداريا له علاقة وطيدة بالفقه لأن إصدار الأحكام القضائية يجب أن يتطابق مع الأحكام الفقهية الشرعية، لا سيما إذا علمنا أن من شروط تولي مهمة القضاء، هو أن يكون المؤهل له درجة عالية من الفقه والفتوى، و لعل أشهر قاض شهدته الدولة الرستمية هو عمروس بن فتح النفوسي، الذي وصف بالبحر الزاخر، و لعل أبرز تصنيف يعرف باسم العمروسي[7].

---

[1] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص89، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص178، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص86.

[2] – جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص675، محمد عليلي: المرجع السابق، ص87.

[3] – يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1(الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1995، ص121.

[4] – جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص738.

[5] – جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 244- 245.

[6] – ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص266.

[7] – الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص320.

- **الفقهاء غير الإباضيين:**

لم يقتصر الإنتاج الفقهي للمذهب الإباضي فحسب بل فتح المجال لمختلف العلماء و لفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية مما مكن من وجود تعايش مذهبي جعل من تيهرت رمزا لما يمكن أن نسميه "حوارا مذهبيا" إلا ما كان يعترض هذا التعايش من تصادم بين الإباضية والمعتزلة الواصلية وأسبابه في غالب الأحيان النزعة القبلية[1]، فقد فتحت تيهرت أبوابها أمام الوافدين إليها من كل حدب وصوب دون تضييق أو تعصب وكان من الطبيعي أن يتواجد عدد من الفقهاء غير الإباضيين خاصة فقهاء المالكية، نذكر منهم:أبو الفضل عباس بن محمد العواف الغدامسي المتوفي سنة 309هـ/921م[2]، و ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي، سمع من أبي علي القالي، توفي 307هـ/919م[3]، وكذلك الفضل بن سالم البجائي المتوفي 319هـ/931م، كان له باع كبير في الفقه من تآليفه "جامع المسائل الموازنة و المستخرجة"[4]، وأيضا قاسم بن عبد الرحمن وزكرياء بن بكر والمؤرخ الفقيه المالكي بن الصغير[5]، كما كان للفقهاء الحنفية قدم راسخة في تيرهت بدليل وجود مسجد خاص بهم و كان يطلق عليهم تسمية الكوفيين[6]، ومنهم أبو مسعود وأبو دنون و كانا فقيهين على مذهب الكوفيين[7]، وقد كان لهذين الفقيهين طلع بارز في إحداث المنافسات التي وقعت بين الإمام أبي حاتم و عمه يعقوب بن أفلح في سنوات 282هـ/286م[8].

***الحديث:**

---

[1] – محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987، ص120.

[2] – بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص246.

[3] – رابح بونار: المرجع السابق، ص92.

[4] – نفسه، ص93.

[5] – محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص237.

[6] – جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص95، ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

[7] – الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص180.

[8] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص134.

عرف الإباضية برواياتهم للحديث عن شيوخهم بالمشرق منهم حملة العلم الخمسة بالإضافة إلى هؤلاء ذكر ابن الصغير أبو عبيدة الأعرج الذي كان يأتي إليه ليسمع منه كتاب اصلاح الغلط وهو تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1]، ولعل النقص في المصادر التي تتحدث على مؤلفات الإباضية في هذا العلم دال على عدم الإهتمام الكبير به، فتراجم وسير العلماء لا تأتي على ذكر المحدثين إلا قليلا، ولعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تيهرت جعل الفقه يحظى بالإهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمناظرات الفقهية و الكلامية، ومع ذلك تشير هذه المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208- 258م) له روايات في الحديث[2].

ولعل أبرز كتاب إباضي في الحديث هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي[3] الذي كان عل اتصال بعلماء المغرب، وقد اعتمده الإباضية في الحديث وأولوه عناية كبيرة واعتبروه سندا صحيحا، وهذا المسند يحتوي على أربعة أجزاء: الأول تناول فيه أحاديث الوحي وذكر القرآن والعلم والولاية والصلاة والزكاة والطهارات، أما الثاني فقد ضم سبعة وخمسين بابا تناول فيه أحاديث الحج والجهاد والطلاق والأحكام، أما الثالث فقد ضم أحاديث احتج فيها الربيع على خصومه كحجة تكفير أهل الكبائر ككفر النعمة، أما الجزء الرابع فضم روايات محبوب بن الرحيل عن الربيع، وروايات الإمام أفلح عن أبي غانم بشير الخرساني، ومراسيل جابر بن زيد[4].

---

[1] – ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي، بها مولده و يقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور، و توفي سنة 270هـ، له كتاب"إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث"، ينظر، النديم: الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص– ص 58- 59، هامش ابن الصغير، ص84، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

[2] – بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص242.

[3] – هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي العماني، من علماء القرن الثاني هجري، تولى إمامة الإباضية بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، عاصر الإمام عبد الوهاب، يحتمل أنه توفي في 172هـ بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص243.

[4] – بلحاج معروف: المرجع السابق، ص244.

أما بالنسبة لإباضية المغرب، فنجد بعض رواة الحديث الذين اهتموا بالفقه الإباضي منهم الشيخ: أبو قاسم سدرات بن الحسن اليغطوري، وأبو ذر إبان بن وسيم، أبو خليل صال، من أهل دركلل، وكذا أبو المنيب محمد بن يانس[1]، وجابر بن زيد الأزدي، اعترضه نفاث في طريقه وأخذ عنه الديوان الذي جمع فيه أحاديث تسعين من الصحابة، وحوى ما عندهم وقام بحفر له و دفنه ولم يعرف وضعه إلى يومنا هذا، كله حسد وغيلة[2]، ولعل هذه الحادثة من حوادث الدهر آنذاك.

ويبدوا هذا الفراغ في مصنفات الحديث لعلماء إباضيين، هو الذي دعى أبا عبيدة الأعرج التيهرتي، العالم الفقيه بالكلام والوثائق و النحو وللغة، إلى دراسة كتب غير الإباضية التي كانت من مخلفات العديد من رواة الحديث، نذكر منهم أبا عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الوناتي التيهرتي[3] الذي يعد من أشهر علماء الجزائر وأدبائها في هذا العصر عالما بالحديث، إماما، صدوقا، حافظا للحديث[4]، ولد بتيهرت عام 200هـ، أخذ العلم عن علماء بلده، ثم ارتحل إلى القيروان، فأخذ عن صاحب المدونة سحنون بن سعيد، وقد أخذ الحديث عن بكر العديد من العلماء أمثال قاسم بن إصبع والذي نقل مسند مسدد بن سرهد إلى الأندلس، وهو في عشرة أجزاء[5]، وأيضا ولده عبد الرحمن[6]، وكذا صالح القحطاني المعافري، وقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهرتي التميمي الذي كان من جلساء بكر بن حماد[7].

---

[1] – الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص155.

[2] – أبو زكرياء: المصدر السابق، ص96.

[3] – ذكره الدباغ باسم بن سمك و بن عذارى باسم بن سمر، ينظر، الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1، تحقيق، محمد ماضور، ومحمد الأحمدي أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة: ص281، ابن عذارى: المصدر السابق، ص103.

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، صج1، ص153، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

[5] – جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص174.

[6] – ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص309.

[7] – بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

ومن المحدثين أيضا أبو سعيد بحيج بن خداش توزري، توفي بنفزاوة سنة 296هـ/909م، وقد روى الحديث عن محمد بن سحنون[1]، ويظهر أن معظم هؤلاء المحدثين كانوا قد رحلوا إلى القيروان لتلقي العلم من شيوخها، و المؤلفات في هذا الباب شبه معدومة إلا ما كان قد استعين به في التفسير، وهي طريقة هود محكم[2] السالف الذكر ويذكر أن نفاثا بن نصر قد أتى معه بنسخة من ديوان جابر بن زيد الأزدي من بغداد، وهو مؤلف يعتقد أنه في الحديث[3]، لما كان يسمعه جابر عن الصحابة منهم بن عباس، يذكر الدرجيني أن مدونة أبي غانم احتوت على جملة من الأحاديث[4].

***علم القراءات:**

لم تشر المصادر التي رجعنا إليها في التأليف في هذا العلم رغم وجود أئمة جودوا و رتلوا القرآن في المساجد طبقا لما جاء في الآيات الكريمة والتي تحث على الترتيل مثل قوله تعالى:**(وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)**[5]، وكذا قوله عز وجل:**(وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)**[6]، وهذا ما ذكره ابن الصغير[7]:"حضرت لهم خطبا كثيرة أولهم ابن أبي دريسوالثاني أحمد التيه و الثالث أبو العباس بن فتحون، والرابع عثمان بن الصفار، و الخامس أحمد بن منصور، فسمعت أحمد التيه يقرأ بعد فراغ إلى بلغ:(**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا**)[8] "، فقد كان هؤلاء الخطباء يؤمون الناس في الصلاة ومن ثم كان عليهم تجويد القرآن وترتيله بأحكامه لأنها فرض عين.

الخاتمة:

---

[1] – معروف بلحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

[2] – بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص301.

[3] – نفسه، ص- ص 305- 306.

[4] – الدرجيني: المصدر السابق، ص10.

[5] – سورة المزمل:الآية4.

[6] – سورة الفرقان: الآية32.

[7] – ابن الصغير: المصدر السابق، 105.

[8] – سورة طه: الآية 4.

إن الإنتاج الفكري الإباضي لا سيما الفقه منه لم ينته بعد انتهاء دولتهم و سقوط تيهرت بل استمر في واحات وارجلان وسدراتة وجربة، إذ نزح يعقوب بن أفلح إلى وارجلان عقب مقتل يوسف أبو يقظان، هذه المناطق كانت في الحقيقة معاقل لانطلاقة جديدة للفكر الإباضي بعد سقوط تيهرت فقد أنجبت هذه المدن علماء وفقهاء مثلوا استمرارية فكرية ومذهبية للدولة الرستمية وعرفوا بقوة الاستماتة في الدفاع عن مذهبهم، إذ عاش العديد من أئمة الفكر الإباضي خلال القرن الرابع والخامس الهجريين حتى يومنا هذا ومن هؤلاء الفقهاء نذكر منهم: أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي المتوفى سنة 570هـ/1174م، سعيد بن زنغيل (أبو نوح)أوائل القرن 4هـ/10م، أبو عبد الله محمد بن بكر الذي تتلمذ على يدي أبي نوح سعيد بن زنغيل وقد أشاد بنبوغه في الفقه، رحل إلى القيروان لتعلم علوم اللغة العربية.

إن جهود هؤلاء العلماء والفقهاء في الحفاظ على المذهب الإباضي عملت على التواصل الفكري عبد العصور هو الأمر الذي أدى إلى استمرارية هذا المذهب حتى يومنا هذا إضافة إلى صفة الاعتدال التي لزمت هذا المذهب منذ نشأته وهي في الحقيقة من عناصر قوته وعوامل انتشاره وبقائه على غرار المذاهب الأخرى التي ظهرت في المغرب ثم سرعان ما اندثرت بسبب جنوحها إلى القوة و الإكراه.

ويلاحظ كذلك وجود علماء أجلاء ينسبون إلى القبائل الأمازيغية مثل قبيلة بني يفرن، مما يؤكد على أن الأمازيغ اهتموا بعلوم الشريعة منذ القرون الأولى، لكن أغلب مؤلفات علماء تيهرت لا تزال مخطوطة بخزائن وادي ميزاب، نذكر منها على سبيل المثال جوابات الإمام أفلح ورسالة أبي عبيدة في الزكاة وديوان أبي سهل.

قائمة المصادر و المراجع

*المصادر:

*** القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)**

ابن أبي عذارى المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة2، 1980.

ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد الناصر وابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986.

أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر): سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.

أحمد بن زكريا التلمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

الحموي (ياقوت شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد): معجم البلدان، ج1، ج2، ج3، دار صادر بيروت، 1995.

الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) : معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1، تحقيق، محمد ماضور، ومحمد الأحمدي أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة.

الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) : طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق وطبع ابراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.

الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد): كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ج2.

النديم (أبو الفرج محمد): الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

*المراجع و الدوريات و الرسائل الجامعية:

ابراهيم بحاز بكير: الدولة الرستمية (160-296هـ/777- 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1993.

أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط11، 1979.

جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3- 4هـ/9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ج1، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

رابح بونار:المغرب العربي، تاريخه و حضارته، ط3، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د.ت.

محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963.

صالح باجية: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة و أصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1976.

محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، د.ت.

محمد عيسى الحريري:الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، ط3، 1987.

يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1(الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995.

لخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (633- 962هـ/1236- 1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005.

محمد عليلي : الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين2- 3هـ/8- 9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007- 2008.

معروف بلحاج: العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002.

وداد القاضي: ابن الصغير، مجلة الأصالة، الملتقى11 للفكر الإسلامي بوارجلان، العدد45، قسنطينة، 1977.

جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، مجلد1- 2- 3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999.